فى الأدب

بربا أبى سنبل

تحريره : —

معبد منحوت فى جوف الجبل ، على غير مثال المعابد المبنية ؛ ذلك فإنه يعد أثرا خالدا لايدانيه فى عظمته أثر . أنشأه « رمسيس الثانى » على أثر انتصاره فى حرب الحيثيين وحلفائهم التى دامت خمس عشرة سنة ؛ واقع على ضفة النيل الغربية بنحو ١٧٠ ميلا جنوبى الشلال ؛ زرناه فإذا به رمزى لفن خطير ، وملك كبير : أربعة تماثيل ضخام تزين صدره ، تومز إلى « رمسيس » وهو جالس على عرشه . وراء مدخله ثلاث ردهات على استقامة واحدة . بالأولى منها ثمانية تماثيل عظام للاله « أوزيرس » كل ردهة خاصة بطبقة من الشعب عند تأدية صلاة الجنازة ، تنتهى تلك الردهات إلى مذبح منصوب على الملك ، تزين حائطه الصدرية أربعة تماثيل على صف واحد ، ثلاثة منها لآلهة مختلفة الأسماء ، أما الرابع فلرمسيس ، وعلى جدران الردهات والحجر المحيطة بها نقشت أخبار انتصاره ، وعز ملكه وجلاله . . . وكثير وكثير مما لايحصيه حساب : فى هذه الناحية التاريخية وضعت القطعة الآتيه : —

« ٥ »

. . . . وعلى « بربا أبى سنبل » أشرفت ، وأبصرت بعينى وحيت !! . . . .

سرحت النظر مشوقا مرتين ، وأرجعت البصر خاشعا كرتين !! . . . .

استعرضت روائع الكنز المدخر !! وكبرت لتلكم الشواهد الكبر !!! . . . . . .

أخذتنى الروعة ! وتحركت بين جنبى لوعة !! . . الأولى فتن الرائع ، والأخرى المجد الضائع !!! . . . .

« وبعد » فما « البربا » وما الخبر ؟؟؟ ! وما الهيان وما « الأثر » ؟؟؟ ! . . . . .

« ٥ »

معبد منحوت ، بآلة الجبروت : هو آية المجد وسر العظموت . . .

سمر عزيز الضحائف ! رائع الزخارف ، فيه من تاريخ « رمسيس » نعت . . . . .

برهان ساطع لعبقرية ! وإحدى البينات فى كتاب الأثرية ! ! ثم هو من وراء ذلك تاج همة فتية .....

مثال جبار وعبرة أجير ، أذاعت ذكر « رمسيس » الأكبر .....

لأن الجبل المثال ، فجعت فى صخره مأثرة للأجيال .....

أبقيت يا « رمسيس » الصخور بعلمك ، وسخرت الجبال فى غابك ! فتلاشت روائع الآيات فى آيك .

أسئل تتم عن بأن ، وصور حية لفنان ، تخلد بجده حتى يمكن للأرض دوران .....

فمن عز على الأقوام : خشعت حياله أبصار الحوارج المظلم ! وتواضعت بين يديه رقيات الهام ! ! .. زهرة فى شجرة التاريخ فنها التنوع والأمام .....

لولا البراعة الهندسية لحبته الكهف أو الغار ، لأن المألوف فى بناء الدار ، أن تقام على ذكن وجدار ! ، ولكن النحات أخالك من الجبل حجرته ، وأخذه من الصخر بطينه ، ورفعت أكباد الصلد الدقيقة .

ooo

ما « البرديا » وما الخبر ؟ ؟ ؟ وما البيان وما « الأثر » ؟ ؟ ؟ .

ثمانيل ومحراب ! وحيا كل وأنصاب ! ! وحراس وحجاب ! ! ...

ردهات منظمة ! وأمكنة للصلوات مقسمة !

حب الآلهة بالملك : ككريمة العقد فى وسط السلك ! ! هو فى الصف القمر ! ! وهم بين حوله الكواكب الأخر ! ! .. فى مذبح هو الحرز الحريز ! ! لا يتخطاه عظيم أو عزيز ! ! ..

إمام وشعبه مأموم ! ! كل « له مقام معلوم » بمنازل ومابقات فى علم « رمسيس » ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ؟ ؟ ؟ ! .

أما الحرب فأنت طاغيها ! ! وأما السيوف فأنت ريها وباريها ! ! .

يامسعر اللهيب فى الوغى ؟ ! سددت سيفك فى نحر من بغى ؟ ! وأصليت بتارك من طغى ! ! .

طغوك صغيرا فأكبرت فتوك وحزمت فيهم أمرك ... وأخذت الأهبة ، وابتجمعت قواك الوثيقة ! ! .

جندت الجنود ! وكنت القائد وجيشك المقود .

علمتهم هناك كيف تكون الشجاعة !! وكيف الحصون وكيف المناعة ؟؟!! وأخيراً رفرفت أعلام النصر لرجل الساعة !!.. وانثنوا بأمرك سمعا وطاعة !!....

سل « الفرات » ؟!.. كم سجل الفتح على دولته الموات ؟!!...

وأين كنت وأين كان « نهر العاص » ؟؟!! وعلام قدم سادته القرابين وطلبوا الخلاص ؟؟!!..

ثم ما أشفتك بماء « الكلب » ؟؟! حتى شردت من حياضه الأهل والصحب ؟؟!!... وهل أشهدت مجراه على آثارك ؟ وأنطقت صخوره باقتصارك ؟ ؟ ؟

ولم ابتهجت أطماعك إلى « بلاد النهرين » ؟!! ولم منعت شعبها الماء وأذقته الأمرين ؟!. وهل خلفت هناك تمثالك ؟ ؟ يملى على أجيالهم جلالك ؟ ؟ ؟!!...

وكيف تركت « نادش وحلب » ؟ ؟ بعد أن أصليتهما العذاب وألحقت بأهليهما العطب ؟!!..

عرفنا أن الدم فى « فلسطين » سال على جبهات السيف والعزم الرصين !!!..

فما الذى أغراك على بغتى « عسقلان وأورشليم » ؟ هل كانتا أحسن من قلبك العظيم !!...

غاب عن الأعداء الحشر والعاد ، فأقمته لهم فى (أرواد) !!!...

تاوك التوبيون ، فعلمهم كيف يتوبون ويثوبون ، وأذقتهم الهون ، وأنزلتهم المنزل الدون !!..

وكم ثمرت أشلاء ، وأرفت دماء ، وكم ابكيت « خنسا. » ، ولم تستجب لتكلى دعاء !!!...

بامثل الجبابرة ، قد علوت شأوا على القياصرة والأكاسرة ، وصيرت الدول بين ضائعة وحائرة !!!...

سددت على القوم المسالك ، وأسست ملكا على أنقاض ممالك ، وصاروا مثلا بين أسير وهالك !!.

صيحت عليهم الويل لأنهم خالفوك ، وضربت عليهم الذلة فقالوا « إنا عاقوك » !!!...

فعفوت عفو الأعاجيد ، ووقف السيف واكتفى الجلاد !!..

وصفح (ست) عن (خيتا) ، وخضع الحيثى لابن (سيتا) ، (١)

« بنتاور » (٢) رهب دولتك ، النابغ فى ظل رايتك ، وضع تاجك بذل القريض إقرارا بنعمتك !!!...

---

(١) — ست سيتوه الثانى ، خيتا — صقع الحيثيين . وست صورتيهما محفورتين على رأس الفأس الذهبى فى فوج من اللغة (٢) بنتاور — الشاعر المصرى القديم نظم بيت من الشعر يمدح به رمسيس ، منقوش على إحدى حيطان المعبد

مجد خلد ، وشعب عبد !! والقاصي والداني لفرعون سجد !!...

بذلك نطق الحجر !! وسجل الاثر !! والعيد لمؤسسه اذكر !! أنبأ عن غاب وكأن حضر !!.

٥٥٥

ما « البرديا » وما الخبر ؟؟؟ وما العيان وما « الأثر » ؟ ...

كتاب مسطور ، وبيت معمور ، وبحر مسجور !!...

سجل هم كبار ، محيط الأخبار ، غريز الورد كريم الأصدار ...

شجرة تجنبة الثمار ، نكهة الطعم في أفواه السمار ، ...

عز خالد ، وكنز آبد ، وفخر الوالد ومجد الوالد ...

كعبة الأجانب ، من كل جانب ، وقبلة الأفواج ، من جميع الفجاج !!... سواح أمشاج ، وزوار وحجاج ، ...

يا « رمسيس » قم واشهد ، أقوانا أمت للعبد !!...

نساء ورجال ، زعماء وأبطال ، شدوا إليه الرحال !! وأنفقوا العزيز والغال !! وطائل المال !!.

منهم من سعى إلى التقديس !! فخلع من الدنيا هذه النفس !!!.. ومنهم من أوجع النفس والنظر !! ثم لا يستحي إن عاد فكذب قومه الخبر !!!.. هؤلاء يخلدون إلى شر بئر الخسائر !! وأولئك يستوجبون حقد السرائر !!!...

« ٥ »

يا عرش « رمسيس » تناه !! وإن فوضك الخلفاء !!! ثم لم يحسنوا من بعدك البناء !!..

طبيعة تحول !! وحال تزول !! وزمن يتول !!...

دالت الدولة ! وهزلت الصولة !!.. وغمد السيف ! واختفى الطيف !! ..

ملك حمله القرون ! ! ووضعه السنون ! ! ! سدد إليه القدر أسنته !! فمزقت سداه وأكلت لحمته ! ! ! ! ....

تناهبته شبر الدول !! فنضت على يا أسى الأول !!! واكتسحوا الديار !! وأشعلوا في جنباتها النار !!! فعاثوا في الآثار !! وإشباعا لوحشي الشهوات !! ..

دكوا المعاقل !! وهدموا المياكل ! وشوهوا الآثار ! ونقضوا الجدار !! ..

وأطفئوا بالجهالة نور العرفان !! ولبسوا الكثير من آى القنان ! . . .

* * *

ويأيها الوطن سلام ! وإن كادت لك الأيام . . فقد من الله عليك بنعمة الأسلام . . .

نشرنا أوجاتك النور . . ومحا الحق آية الزور . . وسايبك ملوكه اليدور . . .

أعادوا المجد رويدا إلى أهله . وردوا الحكم إلى أصله . نجاله النبوة ومحبه اسم الله . لا يعبدون من دون الله . . ولا يقضون إلا بكتاب الله

وأخيراً قيض الله لك الأسرة العلوية . فنشرت صحف المجد المطوية

« محمد على » رأس عزمها ، و« إبراهيم » رمز صولتها . جيوش وفواد وأذواد وأمداد . . حدد وجياش ، وفتح لسوريا والسودان والحجاز

ثم جاء « إسماعيل » ، فخر الجيل فتح المعاهد ، وأسس المساجد وبالقناة أضاف للفن آية بلغت من الفاخر أبعد غاية

وهذا « فؤاد » ربيب المجد ، حبيب الاصل كريم الجد

التوفيق حاديه ، والفن ناديه ، والطير خافيه وباديه والشعب بالهج مفديه . . .

نشر العلوم والمعارف فصدحت باسمه الكريم قلوب ومعازف . . .

رف عرشه على الوطن البسام ، واخضر برفده المحل والبوار ونشأ في أحضان دولته مختار

فبعث فن القراءة من القبور . ونسخ الكتاب ودون بمناهله السطور

ونعمته بزت النعم هي وقف على أرق الأمم محاربة الأمية ، وتشريع الأجبارية وفتح مئات المدارس الأزامية ، وحسب أساتذتها أنهم يساهمون في الشروع بمالي جهودهم ، ويعينون في الأخلاص لمرشهم . ويخاطرون بوضع بضع من نفوسهم ، في أساس بلادهم . . والفناء في بناء الأمم ، شيمة من أكرم الشيم ، والأصل في تكوين أولى الهمم . . . .

لا يكون للملك جلاله ، حتى يرقى فنه ومثاله ، ويجيل العلم فيه يد العمارة ، وتبعث معارفه الحضارة . . وتروج في أسواقه التجارة . . .

حييت يا « فؤاد » ، ذخرا البلاد . عشت يا « أمير الصعيد » في ظل أبيك المديد . . ؟

« جنوب الثلاث »

حمزة نقريرة غريب
سكرتير عام نقابة البحيرة